(٩٢)، (٩٣) [القابض]، [الباسط]

لم يرد هذان الاسمان في القرآن الكريم، وإنما وردا بصيغة الفعل كما في قوله سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

أما الحديث النبوي فقد ورد فيه ذكر هذين الاسمين الكريمين كما في سنن أبي داود وابن ماجه عن أنس ﷺ قال: قال الناس : يارسول الله غلا السعر فسعر لنا فقال رسول الله ﷺ: **(إن الله هو المسعر، القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد منكم يطلبني بمظلمة في دم ولا مال)**[١].

المعنى اللغوي:

أولاً: معنى (القابض):

قال الراغب رحمه الله تعالى: «فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، وقبضها عن الشيء: جمعها قبل تناوله؛ وذلك إمساك عنه؛ قال تعالى: ﴿ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡ ﴾ [التوبة: ٦٧]، أي: يمنعون من الإنفاق»[٢].

وقال في اللسان: «قبضت الشيء قبضًا: أخذته، والقبض خلاف البسط، والانقباض خلاف الانبساط.. .والقبض أيضًا: الأخذ بجميع الكف، والقبص: بأطراف الأصابع، والقَبَضُ بالتحريك: ما قبض من

---

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني وصحيح الترمذي (١٠٥٩)، وأبو داود (٢٢٠٠)، والإمام أحمد في مسنده ٣/ ١٥٦، وغيرها وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٤٥٠).

(٢) المفردات ص ٣٩١.

الأموال والغنائم وغيرها، وقُبض الرجل: مات فهو مقبوض»[١].

ثانيًا: معنى الباسط:

قال في اللسان: «البسط: نقيض القبض.. وبَسَطَ الشيء: نشره، وبالصاد أيضًا، والبسطة: السعة، والبِساط: ما يُبسط. والبَسَاط: الأرض الواسعة. ورجل بسيط اليدين: منبسط بالمعروف .. وبسط يده: مدها. وفلان بسيط الجسم: فيه سعة وامتداد وزيادة وطول»[٢].

وقال الراغب رحمه الله تعالى: «وبْسط الكف يستعمل تارة للطلب نحو: ﴿ كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ ﴾ [الرعد: ١٤].

وتارة للأخذ نحو: ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وتارة للصولة والضرب، قال تعالى: ﴿ وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [الممتحنة: ٢].

وتارة للبذل والإعطاء نحو: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]»[٣].

معنى الاسمين في حق الله تعالى:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في نونيته:

«هو قابض هو باسط هو خافض هـــو رافع بالعـدل والميزان»[٤]

---

(١) لسان العرب ٥/ ٣١٢، وانظر الصحاح ٣/ ١١٠٠، واشتقاق الأسماء للزجاجي ص ٩٧.

(٢) اللسان ١/ ٢٨٢، وانظر الصحاح ٣/ ١١١٦.

(٣) المفردات، ص٤٦.

(٤) النونية ٢/ ٢٣٦.

قال الهراس - رحمه الله تعالى - في شرحه لهذا البيت: «هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا يجوز أن يفرد أحدها عن قرينه ولا أن يثنى على الله - عز وجل - بواحد منها إلا مقرونًا بمقابله، فلا يجوز أن يفرد القابض عن الباسط ولا الخافض عن الرافع...

قال: لأنَّ الكمال المطلق إنما يَحصل بمجموع الوصفين.

فهو سبحانه القابض الباسط، يقبض الأرواح عن الأشباح عند الممات، ويبسط الأرواح في الأجساد عند الحياة، ويقبض الصدقات من الأغنياء، ويَبسط الأرزاق للضعفاء، ويبسط الرزق لمن يشاء حتى لا تبقى فَاقة، ويَقبضه عمن يشاء حتى لا تبقى طاقة.

ويقبض القلوب فَيُضيِّقها حتى تصير حَرجًا كأنما تصَّعَّدَ في السماء، ويبسطها بما يُفيض عليها من معاني بِره ولُطفه وجماله، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ ﴾» [الأنعام: ١٢٥][1].

ويقول السعدي - رحمه الله تعالى - عن هذين الاسمين الكريمين ومثيلاتهما: «هذه الأسماء الكريمة من الأسماء المتقابلات التي لا ينبغي أن يثنى على الله بها إلا كل واحد مع الآخر، لأن الكمال المطلق من اجتماع الوصفين، فهو القابض للأرزاق والأرواح والنفوس، والباسط للأرزاق، والرحمة والقلوب.. وهذه الأمور كلها تبع لعدله وحكمته وحمده ... فعلى العبد أن يعترف بحكمة الله، كما عليه أن يعترف بفضله

(١) شرح الهراس للنونية ٢/ ١٠٤.

ويشكره بلسانه وجنانه وأركانه»[1].

ويقول الزجاجي رحمه الله تعالى: « (القابض): اسم الفاعل من قبض فهو قابض المفعول مقبوض، وذلك على ضروب.

فأما في هذه الآية التي ذُكر فيها هذا الحَرْف في سورة البقرة في قوله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فقالوا: تأويله: يُقتِّر على مَن يشاء، ويوسع على مَن يشاء على حسب ما يرى من المصلحة لعباده.

فالقَبضُ ها هنا: التَّقتير والتَّضييق.

والبسط: التَّوْسعة في الرزق والإكثار منه.

فالله – عز وجل – القابضُ الباسط، يُقتِّر على من يشاء، ويُوسِّع على من يشاء.

ومخرجُ ذلك من اللغة، أن أصلَ القبض: ضَمُّ الشيء المنبسط من أطرافه، فيَقْبضه القابض إليه أولاً حتى يَحوزه ويجمعه. والبَسط: نَشرُ الشيء المجتمع أو المنضم أو المطوي.

فمن قُبضَ رزقُه فقد ضُيِّقَ عليه، ومَن بُسط رزقه فقد فُسح له فيه ووسع عليه.

ومن ذلك قيل: فلان قَبيض، أى: بخيل شديد كأنه لا يبسط كفَّه بخير إلى أحد، ولا يَسمح بذلك. وفلان باسط الكف، وباسط الجاه، وإنما يُراد به السخاء وبذله ماله وجاهه...

...والباسط الفاعل من بسط يَبسط فهو باسط، فالله – عز وجل –

(١) انظر توضيح الكافية الشافية ص ١٣١، والحق الواضح المبين ص ٨٩.

كما ذكرنا باسط رزق مَن أراد من عباده أن يوسع عليه، ومقتر على من أراد، كما يَرى في ذلك من المصلحة لهم، وهو كما قال عز وجل: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٢٧]...

والباسط أيضًا: باسطُ الشيء الذي ليس بمفروش يَبسطه ويفرشه، كما بَسَطَ الأرضَ للأنام، وبثَّ فيها أقواتهم»[١].

من آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين:

«من الأدب في هذين الاسمين الكريمين أن يذكرا معًا؛ لأن تمام القدرة والحكمة بذكرهما معًا ألا ترى أنك إذا قلت: إلى فلان قبض أمري وبسطه دلا بمجموعهما أنك تريد أن جميع أمرك إليه، وتقول: ليس إليك من أمري بسط ولا قبض، ولا حل ولا عقد أراد ليس إليك منه شيء... »[٢].

ويقول الخطابي: «وإذا ذكرت القابض مفردًا عن الباسط كنت كأنك قد قصرت بالصفة على المنع والحرمان، وإذا وصلت أحدهما بالآخر فقد جمعت بين الصفتين منبئًا عن وجه الحكمة فيها»[٣]. فالله سبحانه وتعالى يقبض ويبسط بعلمه وحكمته، وقدرته وقهره، والكمال في اقتران هذين الاسمين الكريمين.

ومن آثار الإيمان بهذين الاسمين الكريمين مقترنين ما يلي:

أولاً: محبة الله - عز وجل - الذي بيده البسط والسعة، وبيده القبض

---

(١) اشتقاق الأسماء ص ٩٧ – ٩٩(باختصار).

(٢) انظر تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج ص ٤٠.

(٣) شأن الدعاء ص ٥٨.

والتضيق، وهو العليم الحكيم، وهذا يثمر المحبة لله تعالى والأنس به، وفي نفس الوقت يثمر الخوف منه سبحانه وإجلاله وتعظيمه، وهذا كله يثمر تجريد التوحيد له سبحانه والصدق والإخلاص في عبادته لا شريك له؛ لأنه لا أحد من خلقه يملك البسط والقبض في كل شيء.

ثانيًا: تجريد التوكل عليه وحده وتفويض الأمور إليه سبحانه، ذلك أنه القابض الباسط وحده، إذ لا باسط لما قبض، ولا قابض لما بسط، كما جاء في دعائه- عليه الصلاة والسلام - والذي منه: (**اللَّهم لك الحمد كله ، اللَّهم لا قابض لما بسطت ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لما أضللت ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت ولا مباعد لما قربت، اللَّهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك**...) الحديث[1] فمن هذه صفاته فهو المستحق لأن يتوكل عليه وحده ويستعان ويستغاث به وحده.

ثالثًا: الرضا بما يقسم الله - عز وجل - من رزق وغيره، سواء كان بسطًا أو قبضًا؛ لأنه سبحانه الحكيم العليم بخلقه وما يصلح لهم فله الحمد على كل أفعاله، وله الحمد في خلقه وأمره.

قال الله - عز وجل -: ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧]، ويقول سبحانه: ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٢].

---

(١) أحمد ٣/ ٤٢٤ بإسناد حسن.

قال ابن الحصار: «وهذان الاسمان يختصان بمصالح الدنيا والآخرة... وذلك يتضمن قوام الخلق باللطف والخبرة، وحسن التدبير والتقدير، والعلم بمصالح العباد في الجملة، والتفاصيل وبحسب ذلك يرسل الرياح ويسخر السحاب فيمطر بلداً ويمنع غيره، ويقل ويكثر وكذلك يصرف جملة العوالم لجملة العالمين»[1].

رابعًا: سؤال الله - عز وجل - أعظم البسط وأفضله، وهو بسط الرحمة والهداية على القلب حتى يستضيء بنور الإيمان ويتخلص من آثار الذنوب كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ [الزمر: ٢٢] وضد ذلك أعظم القبض والتضييق وهو كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

خامسًا: الإيمان بأن كل ما يصدر عن الله - عز وجل - من بسط وقبض، فله الحكمة البالغة فيه. ولا يعني بسطه سبحانه على أحد من خلقه في شيء من الدنيا رضاه عن المبسوط له، كما لا يعني أيضًا قبضه سبحانه عن أحد من خلقه في شيء من الدنيا سخطه **عليه** ومقته له، كلاً، بل قد يدل ذلك على العكس؛ إذ إن الله - عز وجل - يضيق على بعض أوليائه رحمة بهم ولطفًا، ويوسع ويبسط على أعدائه إملاء لهم واستدراجًا كما في قوله سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

(١) انظر النهج الأسمى محمد حمود النجدي ٢/ ١٢٩.

رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّاۖ ﴾ [الفجر: ١٥، ١٧].

وقوله سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٥].

ومن ذلك ما ينعمه سبحانه على الكفار والعصاة من هذه الدنيا إملاء واستدراجًا قال سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٣].

والعكس من ذلك ما يصيب الله به أنبياءه وأولياءه من قبض وتضييق وبلاء فهو محنة عاجلة موصلة إلى جوده ورحمته وفضله المتصل لهم في العاجل والآجل.

سادسًا: الحذر من استعمال ما بسط الله - عز وجل - من الرزق وغيره في معاصيه، بل الواجب شكر الله - عز وجل - على ذلك بالقلب واللسان والأعمال، وذلك بالسعي في صرف هذا البسط في ما يرضي الله - عز وجل -، والسعي إلى التوسعة على عباد الله - عز وجل - والإحسان إليهم كما تفضل الله - عز وجل - وأحسن.

يقول القرطبي رحمه الله تعالى: «فإن كنت مبسوط القلب بالمعارف والحقيقة والعلوم الدينية فابسط بساطَك، وابسطْ وجْهك، واجلسْ للناس حتى يَقتبسوا من ذلك النِّبْراس.

وإنْ كنت ذا بسطة في الجسم، فابْسطه في العبادة التي تُفْضي بك إلى

السعادة، وفي الصَّولِة على الأعداء، بما خُوِّلتَ من المُنَّة والشِّدة.

وإنْ كنت ذا بَسطٍ في المال، فابسطْ يدكَ بالعَطَاء، وأزلْ ما على مالك من الغِطَاء، ولا تُوكي فيوكي الله عليك، ولا تُحْصي فيحصي الله عليك.

وإنْ كنت لم تَنَلْ حظًا من هذه البَسَطاتِ فابسط قلبكَ لأحكام ربِّك، ولسائك لذِكره وشكره، ويدك لبذل الواجبات عليك، ووجهك للَخْلق، كما قال ﷺ في بَذل المعروف: (**فإن لم تَجِدْ فالْقَ أخاكَ بوجه طَلْقٍ**) [(١)] ويروى (طليق).

ولقد أحسنَ القائل:

بُـنَيَّ إنَّ البِـرَّ شـــيءٌ هَـين وَجهٌ طليقٌ ولسانٌ ليِّنٌ»[(٢)]

وفي حال القبض يوقن العبد - كما سبق بيانه - أن هذا القبض والتضييق فيه الحكمة والرحمة للعبد المؤمن، وإن لم يظهر له ذلك فيطمئن ويرضى، وفي نفس الوقت يسعى لدفع هذا التضييق بالأسباب الشرعية وأعظمها اللجوء إلى الله - عز وجل - القابض الباسط، أما الأسباب الأخرى فيأخذ بها مع عدم التعلق بها؛ وإنما التعلق بالله وحده إذ هو مسبب الأسباب وهو القابض الباسط على الحقيقة حيث لا باسط لما قبض ولا قابض لما بسط، وكما قال سبحانه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ [فاطر:٢].

---

(١) روا ه أحمد ٥/ ١٧٣ واللفظ له، ومسلم بنحوه (٢٦٢٦).

(٢) انظر: النهج الأسمى محمد حمود النجدي ٢/ ١٣٢ - ١٣٣.

وجه اقتران هذين الاسمين الكريمين:

يذكر الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - بعض الأوجه في اقتران هذين الاسمين الكريمين أنقل منها ما يلي:

أولاً: «إن مقام الخوف لا يجامع مقام الانبساط، والخوف من أحكام اسم (**القابض**)، والانبساط من أحكام اسم (الباسط)، والبسط عندهم من مشاهدة أوصاف الجمال والإحسان والتودد والرحمة، والقبض عندهم من مشاهدة أوصاف الجلال والعظمة والكبرياء والعدل والانتقام»[١].

ثانيًا: «يشهد العبد حركات العالم وسكونه صادرة عن الحق تعالى في كل متحرك وساكن، فيشهد تعلق الحركة باسمه (الباسط)، وتعلق السكون باسمه (القابض) فيشهد تفرده سبحانه بالبسط والقبض»[٢].

ثالثًا: «الرضى به ربًا: متعلق بذاته وصفاته وأسمائه وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضى به خالقًا ومدبرًا، وآمرًا وناهيًا، وملكًا ومعطيًا ومانعًا وحكمًا، ووكيلاً ووليًا، وناصرًا ومعينًا، وكافيًا وحسيبًا، ورقيبًا ومعافيًا، وقابضًا، وباسطًا إلى غير ذلك من صفات ربوبيته»[٣].

۞۞۞

(١) مدارج السالكين ٢/ ٣٥٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٢.

(٣) المصدر السابق ٢/ ١٨٤.